

التطورات الدرامية تنسف الوحدة الأرثوذكسية

بيان عن مطرانية بيرية، اليونان

نقله إلى العربية وعلّق عليه الأب أنطوان ملكي

بألم في النفس وقلق كبير نشاهد التطورات الكنسية الدرامية الجديدة ذات الأبعاد العالمية، والتي تختزل بين أسبابها العميقة الكيان الأوكراني الجديد. إن هذه التطورات تسبب من جديد صدمات قوية في الأرثوذكسية العالمية، مما يهدد وحدتها، ويرجع ذلك أساسًا إلى الإجراءات التعسفية وغير القانونية التي قامت بها البطريركية المسكونية في منح الاستقلال الأوكراني. قبل بضعة أيام، وفيما كان شعب الله المؤمن يحتفل بعيد الميلاد، أعلنت البطريركية الروسية قرارًا مجعياً خطيراً للغاية، صدم جميع الكنائس الأرثوذكسية المحلية: إنشاء معتمدية (إكسرخسية) لبطريركية روسيا في إفريقيا، أي فصل أبرشيات ورعايا كانت حتى الآن تابعة لبطريركية الإسكندرية ووضعها تحت سلطتها الكنسية.

وبحسب مدونة "Ρομοφαία" (رومفيا): "في إطار اختصاص الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، تم استقبال ١٠٢ من كهنة بطريركية الإسكندرية من ثماني دول أفريقية اليوم الأربعاء ٢٩ كانون الأول ٢٠٢١. وأعلن المجمع المقدس لكنيسة روسيا استحالة الاستمرار في رفض كهنة بطريركية الإسكندرية، الذين قدّموا التماساً للانتقال إلى بطريركية موسكو. وتشير المعلومات أيضًا إلى أن كنيسة روسيا قررت إنشاء معتمدية تابعة للبطريركية في إفريقيا...".

المعتمد اتلذي تمّ تعيينه هو الميتروبوليت ليونيداس وهو مطران كلين والمعتمد البطريركي في يريفان وأرمينيا ونائب رئيس دائرة العلاقات الكنسية الخارجية في بطريركية موسكو. كما تجدر الإشارة إلى أنه كمطران معتمدية جنوب إفريقيا سيكون اسمه: «أسقف جوهانسبرغ وجنوب إفريقيا». في الواقع، لن تكون المعتمدية المذكورة الوحيدة، لأن البطريركية الروسية تنوي تأسيس غيرها. فبعد إفريقيا، يبدو أنه يأتي دور تركيا وبعد ذلك، ما المانع من أن تكون اليونان. فقد ورد في خبر حديث: "بعد أيام قليلة من قرار بطريركية موسكو إنشاء «إكسرخسية روسية في إفريقيا»، وهو عمل تسبب في حزن بطريرك الإسكندرية السيد ثيودوروس، تترك بطريركية موسكو الباب مفتوحًا لإمكانية إقامة «المعتمدية الروسية» في تركيا".

في مقابلة مع ريا نوفوستي، قال مطران فولوكولامسك رئيس دائرة العلاقات الكنسية الخارجية في بطريركية موسكو إيلاريون: "لا يمكن للكنيسة الأرثوذكسية الروسية أن ترفض إطعام الأرثوذكس". في إشارة إلى إنشاء "معتمدية روسية في إفريقيا" مؤخرًا، وقد برر المطران إيلاريون ذلك قائلاً: "في

عام ٢٠١٩، اعترف ثيودوروس الثاني، بطريرك الإسكندرية وسائر إفريقيا، بالكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية المنشقة".

في الحديث عن عواقب هذا القرار، أشارت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية إلى أنه يمكن أن يؤثر على رعاية مواطنينا المؤمنين في إفريقيا، الذين يعيشون في الأراضي الطبيعية لبطريركية الإسكندرية [...] لم تتمكن من رفض كهنة بطريركية الإسكندرية الذين أدركوا الموقف الخاطئ لبطريركهم، الذي قبل ما قامت به كنيسة بطريركية القسطنطينية، أي الظروف التي ساهم فيها بطريرك القسطنطينية في الانشقاق، على أنه قانوني ورعائي.

ما لا شك فيه أن قرار المجمع الروسي أعلاه يكشف، بطريقة ما، "الانتقام" من التورط غير القانوني الذي قامت به البطريركية المسكونية، بإبطالها الأحكام، القانونية وغير القابلة للإلغاء، الصادرة عن الكنيسة الروسية بحق مطران كييف السابق الراهب فيلاريت والكاهن نيقولاوس (مكارياوس مايتش)، إذ أعادتهم (القسطنطينية) إلى رتبهم كنسيًا واعترفت بـ "الرسامات" التي أجرّوها أثناء كانوا ممنوعين عن الخدمة ومُجَرَّدِين.

طلب الكهنة الأفارقة وعددهم ١٠٢ الانضمام إلى البطريركية الروسية، ليس لأي أسباب أخرى غير أنهم لا يريدون أي شركة كنسية مع الكيان الكنسي المنشق الذي يرأسه أيفانيوس. وتجدر الإشارة إلى أنه في هذه الحالة، فإن الغالبية العظمى من الكنائس الأرثوذكسية المحلية الأربعة عشر لا تعترف بالأوكرانية المستقلة وليس لها شركة كنسية معها، ولا تذكر أيفانيوس في الذبتيخا.

أصدر رئيس أساقفة ألبانيا، السيد أناستاسيوس، بيانًا دراماتيكيًا إثر الأحداث المأساوية الأخيرة جاء فيه: "منذ بداية الأزمة الكنسية في أوكرانيا، أشرنا شفهيًا وكتابيًا إلى أن الانقسامات والخلافات الكنسية لا تلتئم بمرور الوقت. على العكس من ذلك، يعمقها الوقت ويقويها".

يؤكد القرار الأخير الذي اتخذته بطريركية موسكو بإنشاء معتمدية في القارة الأفريقية المخاوف الأولية. فإلى جانب الخلاف بين ملايين الأوكرانيين الأرثوذكس، نشأ صدع جديد في القارة الأفريقية الحساسة، حيث كانت الإرسالية الأرثوذكسية تتطور في العقود الأخيرة. [...] واضح أن هذا النشاط الانقسامي يسبب الفضيحة ويضعف الشهادة الأرثوذكسية.

إنه تطور مؤلم. الادعاء بعدم وجود انشقاق في الأرثوذكسية بل مجرد خلافات هو ببساطة مثل النظرية القائلة بعدم وجود فيروس كورونا. [...] في تشرين الثاني ٢٠١٩، أرسلنا إلى جميع الأساقفة الأرثوذكس النص - المنشور في الصحافة - "نداء - صلاة للتغلب على الاستقطاب الكنسي"، حيث أكدنا على الأولوية المطلقة لواجب الوحدة، وضرورة الحوار، وتجنب نشوء جماعات إثنية-عرقية، والتفعيل العاجل لمبدأ الجمعية الذي طالما اعتمدته الكنيسة الأرثوذكسية.

لقد أوضحنا أنه "باتحادنا في الروح القدس، مع الاحترام المتبادل وغرض وحيد هو إيجاد تسوية سلمية، لدينا الفرصة للتوصل إلى حل مقبول بشكل عام من قبل الكنيسة الأرثوذكسية بأكملها. هذا النداء المقلق لا يزال وثيق الصلة اليوم..."

نحن نتفق تمامًا مع صاحب الغبطة رئيس أساقفة ألبانيا ونود أن نلفت انتباه جميع الكنائس الأرثوذكسية المحلية وخاصة البطريركية المسكونية إلى أن الحاجة إلى عقد مجمع أرثوذكسي شامل أصبحت الآن أكثر إلحاحًا، ليس فقط بسبب التطورات المؤلمة الأخيرة، بل أيضًا لأن الشركة الكنسية بين الكنائس المحلية تسيطر عليها حالة من الفوضى.

نلاحظ اليوم الظاهرة السخيفة التالية: قطعت بطريركية موسكو الشركة الكنسية مع البطريركية المسكونية وبطريركية الإسكندرية وكنيسة اليونان وقبرص [١]، لكنها ما زالت في شركة مع الكنائس الأخرى التي ما زالت على شركتها مع هذه الكنائس المذكورة أعلاه وتذكر في ذمتها! الاستنتاج هو أن الأزمة الكنسية الحالية، الناشئة عن الاستقلال الذاتي الأوكراني، بمرور الوقت سوف تصبح أكثر تعقيدًا، وإذا لم يُعقد المجمع الأرثوذكسي بشكل عاجل، فسوف نصل إلى أوضاع أسوأ مع عواقب مستقبلية لا يمكن التنبؤ بها للأرثوذكسية على مستوى العالم.

البطريركية الروسية "تظهر أسنانها" لنا، فهي تبدو غاضبة ومصممة على كل شيء، حتى على أكثر السيناريوهات تطرفًا. حان الوقت لكي يستيقظ جميع قادة الكنيسة قبل فوات الأوان! من الأفضل أن يستقيل أي خبر يفشل في فهم الواقع المأساوي الحالي.

"الرئيس الزائف" للكنيسة الأوكرانية، أيفانيوس، علّق على النحو التالي لشبكة DW الألمانية: "نرى الآن غزوًا واضحًا للكنيسة الروسية في الإقليم الطبيعي لبطريركية الإسكندرية التي اعترفت بالكنيسة الأوكرانية. وهذا نوع من انتقام الكنيسة الروسية من بطريركية الإسكندرية [...] إن الأعمال التي تقوم بها الكنيسة الروسية يجب أن تؤثر على الكنائس الأخرى من ناحية الاعتراف بالكنيسة الأوكرانية، ولا يمكن للكنائس الأخرى أن تؤيد مثل هذه الاعتداءات".

إنه لَمَسَّاس بالنظام الطبيعي للكنيسة"، أن الشخص الذي انتهك بعنف كل فكرة النظام الطبيعي بالإضافة إلى العديد من قوانين الكنيسة المقدسة (أي أيفانيوس: المترجم)، يجرؤ على انتقاد" المساس بالنظام الطبيعي للكنيسة" والتحدث عنه!

لقد سبق وأشرنا بالفعل إلى موضوع الاستقلال الأوكراني في إعلاناتنا السابقة (٦ دراسات قصيرة وواحدة مطوّلة من ١٧ صفحة)، حيث حددنا معالمها الرئيسية وشددنا على عدم انتظام إدارة هذا الكيان بناءً على قوانين الكنيسة المقدسة وطقوسها. والأهم من ذلك أنه أدّى إلى انشقاق ذي أبعاد أرثوذكسية شاملة.

لقد أكدنا أن طرس الاستقلالية الذي قدمه البطريرك المسكوني السيد بارثولوميو للكيان المنشق الجديد برئاسة "الميتروبوليت" أيفانيوس، باطل ويشكل انتهاكًا صارخًا للنظام المجمع والقوانين المقدسة والشرع الكنسي. هذا هو السبب في عدم قبوله من قبل الغالبية العظمى من الكنائس الأرثوذكسية المحلية، التي تعترف بالسيد أونوفريوس باعتباره المطران النظامي الوحيد لكنيسة أوكرانيا.

لقد أنجز أربعة مطارنة: السادة أندرياس مطران كونيتسا، سارافيم مطران بيريه، سارافيم مطران كيثيرا، وكوزماس مطران أتولوكارنانيا، دراسة ممتازة وتوصلوا إلى استنتاجات مماثلة تحبت أن هذا الاستقلال باطل.

لقد أشرنا أيضاً إلى أن جانباً مهماً من هذه القضية هو أنه تم الترويج للاستقلال الأوكراني وفرضه لخدمة الأهداف الجيوسياسية والاستراتيجية للحكومات الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى إلى الفصل التام (سياسياً واقتصادياً وكنسياً)، لأوكرانيا عن دائرة نفوذ روسيا. لم يساهم اعتراف كنيسة اليونان وبطيركية الإسكندرية بالاستقلال الذاتي، من دون قرار أرثوذكسي شامل، في استعادة وحدة الأرثوذكسية المسكونية فحسب، بل زاد من عمق الانشقاق والانقسام الموجودين.

توقع الفئران وبعض "الخبراء" أن هذا الصدع، وهو الأكبر بعد الانشقاق الكبير عام ١٠٥٤، سينتهي قريباً. إذ في القريب العاجل ستعترف الكنائس المحلية العشر المتبقية بالكيان الكنسي في كييف وستضطر البطريركية الروسية إلى التراجع عن الانشقاق والاعتراف بالوضع الجديد في أوكرانيا.

لكن التطورات المأساوية الجديدة تدحض هذه التوقعات جدياً وتظهر بشكل قاطع أن انتهاكات القوانين المقدسة والتعسف، من حيثما جاءت، لا يتم علاجها أو إضفاء الشرعية عليها بمرور الوقت، بل من خلال العودة إلى احترام القوانين المقدسة التي وضعها الآباء القديسون وبالترتيب النظامي للكنيسة.

في الختام، نعرب عن توجسنا وقلقنا، لأننا نعتبر أن من المحتمل جداً أن تمضي البطريركية الروسية في المستقبل القريب لتأسيس معتمدية بطيركية مماثلة في كنيسة اليونان بالرغم من كل ما يوحي بوحدة الإكليروس والشعب في الكنيسة اليونانية. كما نعتبر أنه من الضروري إعادة التأكيد على أن الصدع الكبير الذي تسبب فيه الاستقلال الأوكراني لن يتم علاجه إذا ترك لـ "علاج الوقت".

إن العلاج المناسب الوحيد هو الانعقاد الفوري لمجمع أرثوذكسي عام. إنه لأمر محزن للغاية أن البطريركية المسكونية حتى يومنا هذا لا تزال لا تأخذ في الحسبان الطلبات الحازة من غالبية الكنائس الأرثوذكسية المحلية لعقد مجمع أرثوذكسي شامل. حبذا أن يتم ذلك الآن.

لماذا يخشى (البطريرك المسكوني) عقد المجمع؟ إذا كان يعتقد أن الحق إلى جانبه، فإن ذلك سيظهر في الاجتماع وبالتالي ليس لديه ما يخشاه. هل حقيقةً هو يرفض بعناد عقد المجمع بهدف إظهار الاحترام لمؤسسة الكنيسة المجمعية، أم أنها بالأحرى العقلية البابوية [٢]؟

[١] تشرح الكنيسة الروسية أنها قد قطعت الشركة تمامًا مع البطريركية المسكونية، لأن قرار الذهاب إلى أوكرانيا أخذه مجمع القسطنطينية، مع التركيز على الدور الذي لعبه البطريرك برثلماوس. لكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن كنائس الإسكندرية واليونان وقبرص، حيث أن رؤساء هذه الكنائس اختارت الدخول في شركة مع المنشقين دون دعم المجمع وقرارها. لهذا تقاطع الكنيسة الروسية المطارنة الذين يشتركون أو يتعاملون مع المنشقين الأوكران فقط. هذا الواقع بحد ذاته انقسامي حيث أن كنيسة اليونان وقبرص تعانين فعلياً من هذا الانقسام، بينما في الإسكندرية لم يعترض أي من المطارنة، وهذا ما شجّع الروس على اتخاذ قرارهم بإنشاء المعتمدية المذكورة أعلاه (المترجم).

[٢] في الممارسة، غالبية البطارقة ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية يسلكون بالعقلية البابوية في الكثير من أدوارهم. في قضية الاعتراف بالكيان الانشقاقى الأوكراني، فإن هذه العقلية كانت واضحة لدى البطريرك الإسكندري ورئيس أساقفة قبرص اللذين كانا حتى وقت قصير من اعترافهما معترضين على أعمال القسطنطينية، ولكنهما فجأة وبتدخل واضح من الدبلوماسيتين الأمريكية واليونانية، انقلبا وأخذا قرارهما بالاعتراف بأبيفانيوس من دون الرجوع إلى مجعتهما. في الإسكندرية مر الأمر وانضوى المطارنة وراء بطريركهم، حتى أن بعضهم اشترك في الخدم مع منشقين أوكران، بينما في قبرص لامست الأمور حد الانشقاق. يظهر ذلك في امتناع المجمع القبرصي عن الاجتماع منذ حوالي السنة وهذا ما لم يكن يحدث قبلاً. الوضع في اليونان اختلف حيث لعبت الدولة على وتر الهلينية بمقابل السلافية ما دفع العدد الأكبر من المطارنة إلى تبني موقف القسطنطينية دون أن يتبنى المجمع إجماعاً حول الأمر. من بين المطارنة الذين تبنوا هذا الاعتراف لاهوتيون أفقدهم هذا الموقف مكانتهم على مستوى الأرثوذكسية العالمية، مع أنهم رفضوا الاشتراك مع الأوكرانيين في الخدم أو استقبالهم. من جهة أخرى، رفض رئيس الأساقفة الألباني أناستاسيوس ومعه بطريرك القدس اليونانيين تغليب النزعة الهلينية ولم يعترفوا بالكيان الانشقاقى (المترجم).

Source: I.M. Πειραιώς. “Δραματικές εξελίξεις torpilizoun την ενότητα της Ορθοδοξίας – Ακολουθεί η Ελλάδα...” Βήμα Ορθοδοξίας. Newsroom. 18/01/2022. <https://www.vimaorthodoxias.gr/mitropoleis/i-m-peiraios-dramatikes-exelixeis-torpilizoun-tin-enotita-tis-orthodoxias-akoloythei-i-ellada/>